المبحث الخامس

الخلافة : شورَى أَم وصية ؟

● عقيدة الإمامية : الخلافة وصية وعهد

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : «لا يزال هذا الأمر فى قريش ما بقى منهم اثنان» . (١) والمقصود بالأمر هنا هو الخلافة . وقريش : «هم ولد فهر بن النَّضْر بن كِنانة الذين يرجعون بأنساب آبائهم إليه» (٢) .

ويقول ابن حجر رحمه الله : «ذهب جمهور أهل العلم إلى أن شرط الإمامة أن يكون قرشيًا . وقَيَّد ذلك طوائف ببعض قريش ، فقالت طائفة : لا يجوز إلا من **ولد علي** . وهذا قول الشيعة . ثم اختلفوا اختلافًا شديدًا فى تعيين بعض ذرية علي . وقالت طائفة: يختص **بولد العباس**؛ وهو قول أبو مسلم الخراسانى وأتباعه. ونقل ابن حزم أن طائفة قالت : لا يجوز إلا فى **ولد جعفر بن أبى طالب** . وقالت أخرى : فى **ولد عبد المطلب** . وعن بعضهم : لا يجوز إلا فى **بنى أمية** . وعن بعضهم : لا يجوز إلا فى ولد عمر . قال ابن حزم : ولا حُجة لأحد من هؤلاء الفرق . وقالت **الخوارج** وطائفة من **المعتزلة** : يجوز أن يكون الإمام غير قرشى ، وإنما يستحق الإمامة من قام بالكتاب والسُّنة سواء كان عربيًا أم أعجميًا . وبالغ ضِرار بن عمرو فقال : تَوْلِيةَ غير القرشى أَوْلَى ، لأنه يكون أقل عشيرة ، فإذا عَصَى كان أَمْكَن لخلعه.» (٣) .

ومن الجلي أن هذه الخلافات لم تقع إلا بعد عصر الخلفاء الراشدين . وهى

---

(١) فتح البارى ؛ كتاب الأحكام ؛ رقم ٧١٤٠ ؛ جـ١٣ ص ١١٤

(٢) ابن حزم ؛ المحلى ؛ المسألة رقم ٨٦ جـ١ ص ٤٤

(٣) فتح البارى ؛ شرح الحديثين رقم ٧١٣ ، ٧١٤٠ جـ١٣ ص ١١٨

obeikandl.com

ليست محصورة بين الشيعة وأهل السُّنة ، ولكنها شاعت بين الفرق الإسلامية كلها، وصارت فصلاً ثابتاً فى أدبياتها .

وليس فى هذه الآراء نص بوصية لأحد بعينه من رجالات قريش .

لكن عقيدة الإمامية الراسخة هى أن علي بن أبى طالب هو خليفة رسول الله ﷺ ، بوصية من الله تعالى وعهد من النبى . وعلى هذا اعتبروا أبا بكر مغتصباً لحق علي ، وعاصياً لله تعالى ورسوله ؛ وخلافته باطلة وغير مشروعة ، وتبعًا لهذا رفضوا خلافه عمر وخلافة عثمان ، واعتبروا الصحابة الذين أيدوهم ابتداء من يوم السقيفة ، منافقين عاصين لله تعالى .

ويصور أحد غلاة الإمامية هذه العقيدة فيقول : «إنه لما عَمَّت البلية على كافة المسلمين بموت النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، واختلف الناس بعده ، وتعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم ، فبعضهم طلب الأمر لنفسه ، (يقصد أبا بكر الصديق رضى الله عنه) ، وتابعه أكثر الناس طلباً للدنيا» .

ويرد شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه الافتراءات فيقول إن : «فى هذا الكلام من الكذب والباطل وذم خيار الأئمة بغير حق ، ما لا يخفى من وجوه : أحدها قوله : تعددت آراؤهم بحسب تعدد أهوائهم ، فيكونون كلهم متبعين أهواءهم ، ليس فيهم طالب حق ، ولا مريد لوجه الله تعالى والدار الآخرة ، ولا مَن كان قوله عن اجتهاد واستدلال . وعموم لفظه يشمل عليًا وغيره . هؤلاء الذين وصفهم بهذا هم الذين أثنى الله عليهم هو ورسوله ورضى عنهم ووعدهم الحسنى، كما قال تعالى ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ [التوبة : ١٠٠] (١) .

وهذا تقليد شيعى عام ممتد منذ عهد الراشدين وإلى اليوم ، وليس نزغة شيطان لدى كاتب معين ، باستثناء قلة من العلماء المصلحين المعاصرين . ولدى

---

(١) منهاج السنة النبوية ؛ جـ١ ص١٥٢ .

غلاة الشيعة غرام مرضى بالتشنيع بأبى بكر وعمر خاصة ، يصل بهم إلى أحط دركات الإسفاف والابتذال !

وهم يستبيحون أعراض الصحابة جميعاً دون تمييز ، وفى الوقت نفسه يرفعون أقدار الذين أيدوا علي بن أبى طالب ، إلى عنان السماء !

أما عليٌّ نفسه فقد رفعه البعض إلى مستوى الإله المعبود ! وهؤلاء نبذهم الشيعة أنفسهم . لكن الأغلبية الساحقة تقول : إن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد . (من علي إلى ذريته) وإن الله تعالى نص على إمامة علي ثم الحسن ثم الحسين ، إلى نهاية الأئمة الاثنا عشر. وأنهم هم الآيات التى ذكرها الله عز وجل فى كتابه . وإنهم ورثوا علم النبى وجميع الأنبياء والأوصياء الذين قبلهم ، وعندهم جميع الكتب التى نزلت من عند الله عز وجل وإنهم يعرفونها على اختلاف لغاتها ، وعندهم ما يسمونه الصحيفة والجَفْر والجامعة ومصحف فاطمة، وإنهم يعلمون متى يموتون وإنهم لا يموتون إلا باختيار منهم[١].

وقد صدع النبى لأمر الله وأعلن يوم «غديرخُمْ» أن عليّاً مولاه ومولى كل مؤمن. وشهد بذلك ثلاثون صحابياً. واعترف أبو بكر وعمر يومها بإمامة علي[٢].

وكل الأدلة تشير إلى اعتقاد علي نفسه بأنه كان أَوْلى بالخلافة من أبى بكر ، وإن تَقَبَّلَ اختيار المسلمين ، وشارك فى الحياة الدينية والاجتماعية والسياسية على امتداد أيام الخلفاء الثلاثة . ويبدو أنه كان يعبر عن عدم رضاه أمام بنيه ، حتى وجدنا الحسن بن على – وهو غلام صغير – يقول لأبى بكر وهو على المنبر : انزلْ عن منبر أبى ! ويحاول علي إصلاح الأمر فيقول لأبى بكر إنه غلام حَدَث ، وإنّا لم نأمره ، ويقبل الصديق الاعتذار[٣]. وفى مراسلات الحسن إلى معاوية يقول الحسن إن الخلفاء استولوا على الخلافة التى هى عهد لأبيه ، فيصحح له معاوية معلوماته بأن يذكره بالبيعة الحرة والشورى التى وضعت الخلفاء الثلاثة على رأس الأمة[٤] .

---

(١) الكلينى ؛ الكافى ؛ كتاب الحجة .

(٢) حيدر الحلى ؛ الكلام الجلي ؛ ص١٨٠ – ١٨٥ ، ١٩٣

(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٥ ص٢٥٨ – ٢٥٩

(٤) نفسه ؛ ص ٢٥٨ – ٢٥٩

● سبُّ الشيخين !

ومع الزمن تطور موقف أتباعَ علي وبنيه ، وظهرت فئات منهم ترى أن سب الشيخين عمل يُتعبد به ! ولم يكن كل الشيعة على ذلك المذهب . وقد نفى الإمام جعفر الصادق أن يكون سب أبى بكر وعمر نحلة آل البيت ، كما نفى ذلك أيضا علي زين العابدين (١) . ويُؤثر عن الصادق قوله لصاحبه جابر الجعفر : « يا جابر ، بلغنى أن قوماً من العراق يزعمون أنهم يحبوننا ، ويتناولون أبا بكر وعمررضى الله عنهما ، ويزعمون أنى أمرتهم بذلك ، فَأبلغهم أنى إلى الله برئ منهم . والذى نفس محمد بيده لو وُلِّيتُ لتقربت إلى الله بدمائهم ! لاَنَالَتْنى شفاعة محمد إن لم أكن أستغفر لهما وأترحم عليهما » . وقال الصادق : « من لم يعرف فضل أبى بكر وعمر فقد جهل السُّنة » . (٢)

وكان الصادق يتابع رأى جده زين العابدين ، وأبيه الباقر ، القائل إن الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم مخالف للسنة(٣) .

ويؤثر عن علي بن أبى طالب نفسه شهادات عظيمة للشيخين . فعن محمد بن علي (ابن الحنفية) أنه قال لأبيه :« يا أبت من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ؟ فقال : يا بنى أوَ مَا تعرف ؟ فقلت : لا . قال : أبو بكر . قلت : ثم من ؟ قال : عمر » . وخشيت أن يقول ثم عثمان فقلت : ثم أنت ؟ فقال : « ما أنا إلا رجل من المسلمين » . (٤)

والإمام الصادق هو الذى صاغ المذهب الاثنا عشرى ، وبهذا تميز على سائر الأئمة (٥) . وأحد أحفاده كان أول من أسس دولة علوية فى إفريقية(٦) .

● الغلاة يزورون !

ولكن غلاة الشيعة لا يتورعون عن التقاط الأخبار الزائفة التى تحط من أقدار الصحابة . فيروى أحدهم خبراً مزوراً يقول : إن عمر بن الخطاب كان

---

(١) أبو زهرة ؛ جعفر الصادق ؛ ص٢٠
(٢) نفسه ؛ ص ٢٤ .
(٣) نفسه ؛ ص ٢٠٩ .
(٤) العقيدة الطحاوية ؛ ص٢٩٣
(٥) د. إبراهيم دسوقى شتا ؛ الثورة الإيرانية ؛ ص ٢٦
(٦) اتعاظ الحنفا ؛ جـ ١ ص ٣٥

يشرب الخمر ! وهذا الخبر موجود فى كتاب « العلل المتناهية » وهو كتاب شامل للأخبار المزورة . وعلق عليه ابن الجوزى ، مؤلف الكتاب ، بقوله : « هذا كذب من سعيد بن لعوة – راوى الخبر – الذى وصفه ابن حبان بأنه : شيخ كبير دجال ، يزعم أنه رأى عمر يشرب الخمر » (١) .وينكر الغلاة الأخبار المتواترة بأن أبا بكر صلى بالناس طوال مرض النبى الذى توفى فيه ! (٢) .

وهم جُهَّال بالسيرة النبوية ، فيزعم أحدهم أن أبا بكر فَرَّ من المعارك مراراً قبل يوم بدر ! ومعلوم أن يوم بدر كان أول المعارك !

وهم يتورطون فى الإساءة إلى « علي » حين يتحدثون عن إنفاقه فى سبيل الله، ويقارنونه بأبى بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف ! ومعروف أن علياً كان فقيراً ، وليس له تضحيات مالية تذكر ، ومقارنته بأبى بكر وعثمان وعبد الرحمن ابن عوف لا محل لها ! وقد رأينا فيما سبق تضحياتهم المالية السخية فى سبيل الإسلام . لكن غلاة الشيعة يتهمون الراشدين بالبخل ! (٣)

وهم يخترعون وقائع للطعن فى الراشدين. من ذلك قصة ضرب عمر لفاطمة، رضى الله عنهما، وإسقاط حملها الذى أسموه « المحسن » .يقول شاعرهم:

هل أسقط القومُ ضرباً حملَها فَهَوَت ... تئِنُّ مما بها والضلعُ منكسر

وهل كما قيل قادوا بَعْلَها فَعَدَتْ ... وراءه نادبةً والدمع منهمر ؟

إن كان حقاً فإن القوم قد مرقوا ... عن دينهم وبشرع المصطفى كفروا !(٤)

فالشاعر ليس واثقاً من صحة الواقعة ، وعلى الرغم من ذلك يطلق لسانه في تكفير الفاعلين المزعومين أو المتوهمين !

وينحط هذا الشاعر إلى أدنى دركات الإسفاف حيث يقول :

---

(١) ابن الجوزى ؛ العلل المتناهية ؛ رقم ١٥٧ جـ٢ ص٤٥٩

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٤ ص ٢٩٠

(٣) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٣ ص٥٦

(٤) محمد جمال الهاشمى ؛ الهاشميات ؛ ص٣٥

بهم الخلافة أصبحت متنزهًا فيها تعيث أرانب وذئاب

الخمر فى واحاتها متشعشع والفسق فى ساحاتها صخاب !

ويتهم الغلاة عمر بن الخطاب بقلة العلم ، لأنه يوم وفاة النبى صلى الله عليه وسلم وآله قال : إن النبى لم يمت ! ولأنه أمر برجم امرأة زانية وهى حامل ، فأخبره على بأنها حامل ، فرجع عن أمره .

والحق أن موقف عمر يوم وفاة النبى كان حكيماً ، لأن التأكد من الوفاة يستغرق بعض الوقت ، فأراد عمر ألاَّ يُعلن عن وفاة النبى إلا بعد التأكد من الوفاة . ولا دخل لهذا بقلة العلم ، فهو يعلم قول الله تعالى ﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴾ [الرحمن:٢٦] وقوله تعالى ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠] وقوله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٤] . ولم يكن عمر يعلم أن الزانية حامل ، فلما أخبره علي بذلك أجل تنفيذ الحكم .

ولقد بينا أن عمر رضى الله عنه كان من أعظم الصحابة علماً وفقهاً وثقافة .

وكراهية أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها جزء أساسى من دين الغلاة !

فهم ينكرون أنها من آل بيت النبوة ، وينكرون أنها من أمهات المؤمنين ! فهى ابنة أبى بكر الذى اغتصب الخلافة من علي ، وليس لها أية منقبة أو ميزة غير ذلك ! وهم يردون كل الأخبار التى تتحدث عن حب النبى لها وتقديمه لها على سائر نسائه ، وعن تمريضها للنبى ، وموته فى حجرها ، وعن علمها الواسع بالإسلام . بل يتهمونها بالكذب على رسول الله ﷺ (١) .

● **إسفاف !**

ويغالى الشيعة بصفة عامة فى تقدير الأحساب والأنساب ، على نقيض ما يقرره كتاب الله تعالى فى قوله ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات:١٣] وينحدر الناقد الشيعى إلى الحضيض حين يتطاول على الأمهات . **من ذلك أنهم يمقتون عمرو بن العاص مقتاً شديداً لموقفه المؤيد لمعاوية ضد علي . فيقول**

---

(١) المجلسى ؛ بحار الأنوار ؛ جـ٢ باب ٢٨ ص ٢١٣

قائلهم : إن أم عمرو بن العاص كانت بغياً من صاحبات الرايات فى مكة ! (١) **أما الحقائق فتقول إن النبى صلى الله عليه وسلم وآله كان يقرب عمرو ابن العاص ويدنيه لمعرفته وشجاعته** : « وولاه غزاة ذات السلاسل ، وأمده بأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح ، ثم استعمله على عُمان ، وكان من أمراء الأجناد فى الشام فى زمن عمر ، وهو الذى فتح قنسرين ، وصالح أهل حلب و« منبج » وأنطاكية وولاه عمر فلسطين » . وشهد له **قبيصة بن جابر فقال** :« **صحبت عمرو ابن العاص فما رأيت رجلاً أَبْيَنُ قرآناً ، ولا أكرم خلقاً ، ولا أشبه سريرة بعلانية منه** » . وكان الشعبى المحدث الكبير يقول : « دهاة العرب فى الإسلام أربعة ، فعدَّ منهم عمرو بن العاص . ثم قال : فأما عمرو فللمعضلات » . وَوَلي عمرو إمرة مصر فى زمن عمر بن الخطاب ، وهو الذى افتتحها .. ووليَ مصر لمعاوية من صفر سنة ٣٨هـ إلى أن مات سنة ٤٣ هـ (٢) .

ومن حق الناقد أن يعترض على مواقف عمرو السياسية . لكن ليس من حقه أن ينال من عرض أمه ، حتى لو كان يملك الدليل القاطع على ذلك ، فما بالك حين لا يوجد دليل ؟ أَليس هذا رَمْي لامرأة محصنة ؟ ! ثم أليس لهذا القائد العظيم ، حرمة ؟ وأين زعماء الشيعة من عمرو بن العاص ؟ ماذا فتحوا من البلاد ؟ وماذا قادوا من الجيوش ؟ (باستثناء علي رضي الله عنه) .

هذا فى إيجاز موقف الشيعة من الصحابة ومن الراشدين . وهو موقف أساسى عندهم ، ومن العسير وإن لم يكن من المستحيل ، أن يتزحزحوا عنه! لأنه يستند إلى اعتقادهم أن الخلافة وصية ، وأن الراشدين اغتصبوها من علي !

● **موقف استثنائى**

والاستثناء الذى قابلته بينهم هو الدكتور موسى الموسوى ، وهو عالم شيعى معاصر ؛ إنه ينتقد موقف الشيعة **الذين يمارسون السباب بأحط الأساليب المُسفَّة** فى وصف الخلفاء الراشدين الثلاثة وأمهات المؤمنين . وهو يؤكد أن ذلك السباب لا يجوز أن يصدر من مسلم إلى مسلم آخر عادى ، ناهيك عن أن يكون خليفة ، وأن تصدر عن فرقة مسلمة ضد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله

---

(١) الميلانى ؛ قادتنا ؛ جـ٥ ص ٢٩٠ – الهامش . (٢) الإصابة فى تمييز الصحابة .

وأزواجه – صحابة لهم مكانة كبيرة فى قلوب المسلمين وأزواج النبى سماهم الله أمهات المؤمنين» (١) .

ثم يقول الدكتور الموسوى : « ولا أطلب من الشيعة فى هذه الدعوة التصحيحية أن تقول وتعتقد فى الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الإمام علياً ، أكثر مما قاله الإمام فى حقهم . **فلو التزمت الشيعة بعمل الإمام علي لانتهى الخلاف وساد الأمة الإسلامية سلام فكرى عميق ، فيه ضمان الوحدة الإسلامية الكبرى**»(٢) .

● موقف أهل السنة : مولاة جميع الصحابة

وفى مقابل موقف الشيعة من الصحابة يبرز الموقف الإيجابى لأهل السنة، وقد تميز بالاستناد إلى القرآن الكريم دون تعسف أو تأويل . وقد أورد ابن حجر رحمه الله صورة ذلك الموقف بوضوح فقال : «إن عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم . فمن ذلك قوله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] وقوله ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح :١٨] وقوله : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] وقوله ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر :٨] وفى آيات أخرى كثيرة يطول ذكرها ، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها . وجميع ذلك يقتضى القطع بتعديلهم ، ولا يحتاج أحد منهم إلى تعديل أحد من الخلق . على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التى كانوا عليها (من الهجرة ، والجهاد ، ونصرة الإسلام ، وبذل المهج والأرواح ، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة فى الدين ، وقوة الإيمان واليقين) القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم ، وأنهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم والمعدلين الذين يجيئون

---

(١) الشيعة والتصحيح ؛ ص ١٠ . (٢) نفسه ؛ ص ٤٨

من بعدهم . هذا مذهب كافة العلماء ومَنْ يعتمد قوله » . ثم روى حديثاً بسنده إلى أبى زرعة قال : إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وآله فَاعْلم أنه زنديق . وذلك أن الرسول حق ، والقرآن حق ، وما جاء به حق، وإنما أدى إلينا ذلك كلَّه الصحابةُ . وهؤلاء يريدون أن يجرِّحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة ، والجرح بهم أَوْلى وهم زنادقة » . (١)

والرجل لا يعتبر صحابيًا إلا بخبر متواتر ، أو مستفيض ، أو مشهور ، أو بحضور يوم بدر أو الحديبية ؛ أو أن يقول الرجل عن نفسه أنا صحابى ، وهو ثابت العدالة ؛ وكذلك معاصرة الرجل للنبى ؛ وقول الراوى : سمعت من رسول الله ؛ وإمارة المغازى .

● تقويم الصحابة

وتقويم الصحابة يجب أن يكون فردياً ، وإنها لجريمة كبرى سبُّهم جميعًا دون تمييز ! كما أن نقدهم بموضوعية عمل علمى ، فهم بشر ، ويخطئون ، بعكس عقيدة الشيعة أن الأئمة معصومون . ونعلم جميعًا أن أحدهم قد ارتد بعد إسلامه وهو عبد الله بن خطل الذى أمر النبى بقتله وهو معلق بأستار الكعبة .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :« إن أهل السنة يتولون جميع المؤمنين ، ويتكلمون بعلم وعدل ؛ ليسوا من أهل الجهل ولا من أهل الأهواء . ويتبرأون من طريقة الروافض والنواصب جميعاً ، ويتولون السابقين الأولين كلهم ، ويعرفون قدر الصحابة وفضلهم وَمَنَاقِبَهم ، ويرعون حقوق أهل البيت التى شرعها الله لهم . ولا يرضون بما فعله المختار ونحوه من الكذابين (٢) ، ولا ما فعل الحجاج ونحوه من الظالمين . ويعلمون مع هذا مراتب السابقين الأولين ، فيعلمون أن لأبى بكر وعمر من التقدم والفضائل مالم يشاركهما فيها أحد من الصحابة ، لا عثمان ولا على ولا غيرهما ... حتى أن الشيعة الأولى أصحابُ عليٍّ لم يكونوا يرتابون فى تقديم

---

(١) الإصابة فى تمييز الصحابة ؛ جـ١

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ١ ص ١٦٥

أبى بكر وعمر عليه . وكيف وقد ثبت عنه (عن علي) من وجوه متواترةأنه كان يقول : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر ؟» (١)

ويقول الإمام أبو حامد الغزالى : «إن الإمام الحق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضى الله عنهم . ولم يكن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله على إمام أصلاً ؛ إذْ لو كان ، لكان أَوْلى بالظهور من نَصْبِه آحاد الولاة والأمراء على الجنود فى البلاد ، ولم يخف ذلك ، فكيف خفي هذا ؟! وإن ظهر ، فكيف اندرس حتى لم ينقل إلينا ؟ فلم يكن أبو بكر إماماً إلا بالاختيار والبيعة . وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، وخرق الإجماع ، وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه إلا الروافض . واعتقاد أهل السنة : تزكية جميع الصحابة ، والثناء عليهم ، كما أثنى الله تعالى ورسوله ﷺ » .(٢) وقد عبر الشاعر الشيخ شمس الدين بن الملحى (توفى سنة ٧٤٤هـ) عن موالاة أهل السُّنة للصحابة جميعاً ولآل البيت فقال :

ليس لى غير إلهى ذى الكرم ... غافر الزلات
والنبى المصطفى بدر الظُّلَم ... صاحب الآيات
أحمد الهادى الرسول المحتشم ... سيد السادات
بدرُ حَقٍّ يخجلُ البدر التمام ... مشرق الأنوار
الذى كان تغشاه الغمام ... وهو فى الأسفار
سلم الله عليه وعلى ... آله الأعيان
وعلى صِدِّيقه تاج العلا ... سابق الإيمان
وعلى الفاروق مأمون الملا ... والرضا عثمان
وعلى فارس الجيش الهمام ... الفتى الكرار
وعلى أولاده الزهر الكرام ... خيرة الأخيار

(١) الموضع تفسه . (٢) إحياء علوم الدين ؛ جـ١ ص ٨٩

رحم الله الشاعر شمس الدين وجزاه خير الجزاء .

آخر وصية للرسول : «الصلاة وما ملكت أيمانكم»

وكثير من الأدلة تثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله لم يوصِ لأحد بالخلافة . من ذلك قول أنس بن مالك رضى الله عنه :« كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله ، **حين حضرته الوفاة وهو يغرغر بنفسه :«الصلاة وما ملكت أيمانكم»** (١) وعن على بن أبى طالب قال : « **كان آخر كلام النبى صلى الله عليه وسلم وآله :«الصلاة وما ملكت أيمانكم»**(٢) وكان بوسع النبى أن يوصى لعلي بالخلافة بكلمات كهذه : « علي بن أبى طالب هو الخليفة من بعدى »، ولكنه لم يقلها . ومن ذلك ما يرويه ابن هشام فى السيرة من أن النبى صلى الله عليه وسلم وآله ، خرج فى مرضه الذى مات فيه عاصباً رأسه :« حتى جلس على المنبر ، ثم كان أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب « أحد » واستغفر لهم فأكثر الصلاة عليهم » .(٣) ولو أراد أن يوصى لأحد لفعل ، من غير كتابة ولا صحيفة .

وعن الهُزَيل بن شُرحبيل قال :« أتقولون : أبو بكر كان يتأمر على وَصيِّ رسول الله ﷺ ؟! وَدَّأبو بكر أنه وجد من رسول الله ﷺ عهداً، فَخَزم أنفه بخزام! »(٤) يريد أن يقول مستنكراً إن تلك مقولة كاذبة ، وإن أبا بكر لا يمكن أن يقبل أن يكون أميراً على أى إنسان أَوْصَى له النبى بالإمارة . فلم توجد وصية لأحد .

ويقول الذهبى :« وَوَلِيَ الخلافة عمر بنص من أبى بكر ، فلم يختلف عليه اثنان : فوالله لو نَصَّ النبي ﷺ على علي بن أبى طالب ، كما تفترى الرافضة – لما اختلف عليه اثنان أيضاً » .(٥)

حقًا ، كيف نُصدِّق انصياع كبار الصحابة لوصية أبى بكر لعمر ، وتنكرهم لوصية النبي ﷺ لعلى ؟!

---

(١) ابن ماجة ؛ رقم ٢٦٩٧ جـ٢ ص٩٠ (٢) نفسه ؛ رقم ٢٦٩٨ .
(٣) سيرة ابن هشام ؛ جـ٤ ص٦٤٩
(٤) سُنن ابن ماجة ؛ كتاب الوصايا – رقم ٢٦٩٦ – جـ٢ ص ٩٠٠
(٥) الذهبى ؛ العبر ؛ جـ١ ص ١٣

obeikandl.com

وأكـرر أن النبي ﷺ لو أراد أن يوصى بتـوليـة علي من بعـده لأَعْلَنَ ذلك بعبارات صريحة قاطعة ، وأخذ العهد على كبار الصحابة بالعمل به ، **كأن يقول : علي بن أبى طالب يجب أن يكون خليفتى فى حكم الأمة ، وعليكم جميعاً طاعته . وفى مرضه الذى مات فيه كان من المؤكد أن يعيد توكيد إمامة علي علنًا على رؤوس الأشهاد حتى لا يقع خلاف ، والأمة مهددة بحركة الردة وظهور الأنبياء الكذبة . لكن شيئًا من هذا لم يحدث ، وبذلك يصبح مذهب أهل السُّنة هو الأُرجح .**

إن الخلفاء الراشدين عند أهل السُّنة خمسة :« أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعمر بن عبد العزيز ، ومن سواهم مبتز» هذا قول الشافعى كما سبق أن رأينا فلم يُثبت عمر بن عبد العززيز .[1] وترتيبهم هو الترتيب الذى حدث فى واقع حياة الأمة المسلمة.

أما عند الشيعة الإمامية فثمة خلاف كبير . فبعضهم يأخذ بما وقع فى التاريخ ، ويقترب من أهل السُّنة ، مع اعتراضات على الترتيب ، فكان الواجب عندهم أن يكون علي أولاً . وبعضهم لا يعترف بخلافة أبى بكر وعمر وعثمان ، ويعتبرونهم ظلمة اغتصبوا الإمامة من صاحبها الذى نَصَّ عليه النبي ﷺ . ويعضهم يضيف الحسن بن علي بوصفه الخليفة الراشد الخامس ، مع اعترافهم بعدالة عمر بن عبد العزيز ومشروعية حكمه .

● عودة إلي المقارنات بين علي وأبى بكر

يقول أحد الكتاب الشيعة الإمامية مصوراً عقيدتهم :« إن الإمامية لما رأوا فضائل أمير المؤمنين (علي بن أبى طالب) وكمالاته لاتُحصى ، قد رواها المخالف والموافق ، ورأوا الجمهور قد نقلوا عن غيره من الصحابة مطاعن كثيرة ، ولم ينقلوا فى علي طعنًا ألبتة ، اتبعوا قوله ، وجعلوه إمامًا لهم ، حيث نزهه المخالف والموافق ، وتركوا غيره حيث رُوِيَ فيه من يعتقد إمامته من المطاعن ما يطعن فى إمامته ».[2]

---

(١) آداب الشافعى ؛ ص ١٩١

(٢) منهاج السنة النبوية ؛ جـ٣ ص ٢

ويرد ابن تيمية رحمه الله على هذه المزاعم فيقول إن: «الفضائل الثابتة فى الأحاديث الصحيحة لأبى بكر وعمر أكثر وأعظم من الفضائل الثابتة لعلي». وأما المطاعن التى أشار إليها ذلك الكاتب: «فلا يمكن أن يُوَجَّه على الخلفاء الثلاثة من مَطعن إلا وجِّه عَلَى عليٍّ ما هو مثله أو أعظم منه».

وينفى ابن تيمية الزعم بأن عليًّا قد نزهه المخالفون، ويقول إن القادحين فى عليٍّ طوائف متعددة، وهم أفضل من القادحين فى أبى بكر وعمر وعثمان، والقادحون فى علي أفضل من القادحين فى أبى بكر وعمر رعثمان. والقادحون فى علي أفضل من الغلاة فيه. فالخوارج متفقون على كُفْره، وهم عند المسلمين خير من الغلاة الذين يعتقدون إلهيته أو نبوته، بل هم والذين قاتلوه من الصحابة والتابعين خير عندجماهير المسلمين من الرافضة الاثنى عشرية الذين اعتقدوه إمامًا معصومًا. وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما ليس فى الأمة من يقدح فيهما إلا الرافضة. والخوارج المكفرون لعلي يوالون أبا بكر وعمر ويترضون عنهما. والمروانية الذين ينسبون عليًّا إلى الظلم ويقولون إنه لم يكن خليفة، يوالون أبا بكر وعمر، مع أنهما ليسا من أقاربهم» (١)

ثم يحاول ابن تيمية إثبات أن أبا بكر وعمر كانا أفضل من علي، فيقول: «إن الثلاثة – أبا بكر وعمر وعثمان – اجتمعت الأمة عليهم، فحصل بهم مقصود الإمامة، وقُوتل بهم الكفار، وفتحت بهم الأمصار. وخلافة علي لم يقاتَل فيها كافر، ولا فُتح مصر، وإنما كان السيف فيها بين أهل القبلة». (٢)

وهنا أُذكِّر بما سبق أن قلتُه، وهو أن المقارنة بين الخلفاء خطأ علمى، لأن الظروف التى تَوَلَّى كل واحد منهم فيها مقاليد السلطة مختلفة. فأبو بكر واجه حركة الردة، وعمر تولى والأمة فى حرب ضد الروم، وعثمان كان عليه أن يواصل الفتوحات التى كانت دائرة. وأما علي فكان عليه أن يواجه انشطار الأمة إلى معسكرين متقاتلين. وكان لكل خليفة إسهاماته الخاصة فى سبيل الإسلام.

فأبو بكر أسهم بما له وجهده؛ وعمر أسهم بقوته ومكانته المرهوبة؛ وعثمان

---

(١) نفسه؛ جـ٣ ص٣ (٢) نفسه؛ جـ١ ص ١٤٥

كان أسْخَى المموِّلين للدولة المسلمة الفتية . وعلي كان مثالاً نادراً في شجاعته وجسارته في ميادين القتال . هذا في إيجاز شديد بيان الفروق النوعية بينهم بما يجعل المقارنات والموازنات بينهم خاطئة .(١)

ولم يكن ذنب «علي» أنه قاتل معاوية وأتباعه ؛ بل الذنب يقع على عاتق معاوية . وكان «عليٌّ» على صواب في قتال المبتزين المتمردين الذين أرادو القضاء على نظام البيعة الحرة . وكان أكبر خطأ في تاريخ أمتنا هو تسليم الحسن بن علي مقاليد الحكم لمعاوية .

ثم إن قَدْحَ الخوارج على عليٍّ لا قيمة له ، ولا يجوز الاستشهاد به لإثبات فضل أبي بكر وعمر . بل العكس هو شهادة لصالح علي .

وأما الغلاة القائلون بألوهيته فكانوا طائفة شاذة ، وقد نكَّل بهم رضي الله عنه ، ورفضهم أولاده وشيعته جميعًا .(٢)

وأحسب أنه لا يجوز القول بتفضيل مَن قاتل عليًّا على من قاتل معه . وقد شهد الشافعي بأن معاوية كان مبتزًا ؛ فكل من قاتل معه فقد قاتلَ مع مبتز أو إمام جور ، بصرف النظر عن نياتهم وصلاح أعمالهم . وعلي هو الخليفة الراشد الرابع لدى المسلمين باستثناء بني أمية ، وهو أمير المؤمنين الشرعي الذي بايعه المسلمون بالإجماع بُعَيْد مقتل عثمان . ولا يجوز أن نجاري الغلاة الذين رفعوا عليًّا إلى مرتبة النبوة أو الإلهية ، وحاولوا الحط من أقدار الراشدين : أبي بكر وعمر وعثمان ، رضي الله عنهم جميعًا ، فننزلق إلى هاوية الإساءة إلى هذا الصحابي أو ذاك ، ولا نجني من وراء ذلك إلا المزيد من الشروخ التي تضرب كيان أمتنا المسلمة .

● عباس أراد الحصول على وصية من النبيّ

وقد أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وَجَعِه الذي تُوُفِّيَ فيه فقال الناس : يا أبا حسن !

---

(١) ومن أراد المزيد فَلْيرجع إلى أبواب فضائل الصحابة في كتب الحديث والتاريخ .
(٢) سنعالج مقولات الغلاة في المبحث السادس .

كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئًا . قال ابن عباس : فَأخذه بيده عباس بن عبد المطلب فقال : ألا ترى أنت – والله –أن رسول الله ﷺ سيُتوفَّى فى وَجَعه هذا ؟ إنى أعرفَ وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، فَاذْهب بنا إلى رسول الله ﷺ ، فَلْنَسْأله فيمن هذا الأمر ؛ فإن كان فينا عَلِمْنَا ذلك ، وإن كان فى غيرنا كلَّمناه فَأَوْصَى بنا . فقال علي رضى الله عنه : والله لَئِنْ سألناها رسول الله ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لا يُعطيناها الناسُ أبدًا ! فوالله لا أسأله أبدًا ! » (١)

وعن علي رضى الله عنه أنه قال يوم وقعة « الجمل » :« إن رسول الله ﷺ لم يعهد إلينا عهدًا نأخذ به فى إمارة ، ولكنه شيء رأيناه من قِبَلِ أنفسنا ، ثم اسْتُخلف أبو بكر ، رحمةُ الله على أبى بكر ، فأقام واستقام ، ثم اسْتُخلف عمر ، رحمةُ الله على عمر ، فأقام واستقام حتى ضَرَبَ الدين بجرانه » .(٢)

هذان الخبران يبينان أن النبى ﷺ لم يُوصِ لأحد بعينه بالخلافة حتى أيامه الأخيرة قبل أن يلحق بالرفيق الأعلى . فلا بد من الشورى لاختيار أحد رجالات قريش للخلافة ، وهذا هو ما حدث ، وهو المعتمد لدى أهل السُّنة ولدى بعض أئمة الشيعة ، فعليٌّ إمام الشيعة الأول ، رفض أن يطلب من النبى الوصية له ، خشية أن لا يستجيب لطلبه ، فلا ينالها بعد ذلك أبدًا . وفى الخبر الثانى يعلن علي أن الخلافة ذهبت إلى أبى بكر ثم إلى عمر بالرأى والمشورة . وكان الإمام أبو جعفر محمد الباقر يرى صحة إمامة أبى بكر وعمر ، وأن من أبْغَضَهما فقد أَبْغَضَ سُنَّة محمد ﷺ .(٣)

وقال « غيلان الدمشقى » أحدُ أشهر القائلين بحرية الإرادة ، إن الإمامة تجوز لكل مَنْ يقوم بالكتاب والسُّنة ، وإنها لا تثبت إلا بإجماع الأمة . (٤) وهو يختلف مع أهل السُّنة ومع الشيعة ، كما سنرى ، لكنه يتفق مع ما آلت إليه أوضاع الأمة

---

(١) الفتح الربانى ؛ كتاب الخلافة والإمارة ؛ رقم ١ جـ٢٣ ص٤ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ؛ جـ٢ ص٣٤٧ ؛ والحديث أخرجه البخارى ، وابن هشام ؛ جـ٤ ص٦٥٤ .

(٢) الفتح الربانى ؛ كتاب الخلافة والإمارة ؛ رقم٢ ؛ جـ٢٣ ص٤ .

(٣) أبو زهرة الإمام الصادق ؛ ص ١١٢

(٤) الشهر ستانى ؛ الملل والنحل ؛ جـ١ ص ١٤٣

المسلمة اليوم، حيث أصبحت الديمقراطية أُمنية عزيزة لشعوبها شريطة الالتزام بالكتاب والسُّنة .

واتخذت الخلافة طريقاً آخراً على يدى معاوية بن أبى سفيان ومن بعده بنو أمية ، وهى طريق « السيف » أو « الغَلَبة » ، بدون بيعة حرة ، وهو الملك الوراثى العضوض . ومن المحزن أن ذلك النظام هو الذى سيطر على الأمة على امتداد التاريخ وحتى اليوم باستثناء الفترة القصيرة التى حكم فيها عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه، وفترات قصيرة فى العصر الحديث فى بعض البلاد المسلمة .

● الخلافة وصية لعلي : عقيدة الإمامية

أما الشيعة الإمامية فقد قرروا – كما ذكرنا سلفًا – أن مسألة الإمامة عقيدة ، وأنها قد ثبتت لعلي بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، ولولده من بعده فى حين رأى أهل السُّنة أنها مسألة عملية مصلحية لا تدخل فى العقائد ، وأنها غلو فى تقديرهم لأئمتهم .(١)

ويُورد الشيعة أحاديث لإثبات الوصية بإمامة علي . من ذلك حديث « غَديرخُم » – وهو مكان بين مكة والمدينة ، فيه خطب النبى ﷺ الناس ، حين رجع من حجة الوداع ، فقال :« أَلَسْتُ بأولى بكم من أنفسكم ؟ قالوا : اللهم بلى . فقال : مَنْ كنتُ مولاه اللهم وَالِ مَن والاه وعَادِ مَن عاداه ، وانصر مَن نَصَرَه ، واخذلْ مَن خذله .(٢) وقال أيضاً :« أَلَسْتُ أَوْلَى بالمؤمنين من أنفسهم ، وأزواجى أمهاتهم؟ فقلنا : بَلَى يا رسول الله : قال : فَمَنْ كنتُ مَوْلاه فعلي مَوْلاه ، اللهم وَالِ مَن وَالاه وعَادِ من عَادَاه ».(٣)

وقد اعتبر الشيعة أن هذا الحديث هو وصية لعلي بالإمامة بعد رسول الله ﷺ . لكن أهل السُّنة فَسَّروا الموالاة على أنها موالاة محبة .(٤)

---

(١) أبو زهرة ؛ رقم ١٦٢ ص ٢٠٣ .
(٢) نفسه ؛ ص ٣٦٦
(٣) الفتح الربانى ؛ رقم ٢٧٦ ؛ جـ٢٣ ص١٢٦ – وإسناده صحيح .
(٤) نفسه ؛ ص ٣٦٨ .

وهذا هو الخلاف الرئيسى بين الشيعة والسُّنة . وقد ترتب عليه خلاف حاد فى الموقف من الصحابة عامة ومن الثلاثة الراشدين خاصة . فقد اعتبرهم بعض الشيعة ظلمة اغتصبوا حق علي فى الإمامة ؛ وبالغ بعضهم فى العداء للراشدين فاستحلوا سَبَّهم والانتقاص منهم والحط من أقدارهم . وسوف أفصِّلُ القول فى هذه المواقف فيما بعد .

ويستشهد الشيعة بأحقية علي فى الإمامة بوصية النبى ﷺ حين قال لعلي :« أنت منِّى بمنزلة هارون من موسى ».(١) وفى رواية أخرى قال ابن إسحاق إن رسول الله ﷺ حين خرج إلى تبوك خَلَّف عليًّا على أهله :« وأَمَره بالقيام فيهم ، واستْخلف على المدينة سِبَاعَ بن عُرْفُطَة » . قال عليٌّ : يا نبيَّ الله ! زعم المنافقون أنك إنما خلَّفتنى أنك استثْقلْتنى وتخففت منى ؟! فقال : كَذَبُوا ! ولكنى إنما خلّفْتك لما ورائى ، فارجع فاخْلُفنى فى أهلى وأهلك . أَفَلاَ تَرْضَى يا علي أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لا نَبِىَّ بعدى ».(٢)

ويختلف أهل السُّنة فى تفسير هذا الحديث الصحيح . فيقول ابن حزم إنه لا يُوجب لعلي فضلاً على مَن سِوَاه :« ولا استحقاق الإمامة بعده عليه السلام ، لأن هارون لمَ يلِ أمر بنى إسرائيل بعد موسى (عليهما السلام)، وإنما وَلِيَ الأمر بعد موسى « يوشع بن نون » ، فَتَى موسى وصاحبه الذى سافر معه فى طلب الخضر (عليهما السلام) ويضيف قائلاً :« إن النبى قد استخلف قبل تبوك وبعد تبوك عَلَى المدينة رجالاً سِوَى عليٍّ رضى الله عنه . فَصَحَّ أن هذا الاستخلاف لا يُوجب لعلي فضلاً على غيره ، ولا ولاية الأمر بعده ، كما لم يُوجب ذلك لغيره من المستخلَفين ».(٣)

ويعتقد الشيعة الإمامية أن :« الإمامة منصب إلهى كالنبوة ؛ فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ، فكذلك يختار للإمامة من يشاء، ويأمر نبيَّه بالنص عليه ».(٤)

---

(١) صحيح مسلم ؛ جـ ١٥ ص ١٧٣–١٧٤ .

(٢) تاريخ الطبرى ؛ أخبار سنة ٩ هـ جـ ٣ ص ١٠٣ – ١٠٤ .

(٣) الفُصل ؛ جـ٤ ص ١٥٩– ١٦٠

(٤) كاشف الغطاء ؛ أصل الشيعة ؛ ص ١٢٨

وقد نَصَّ النبي على إمامة علي فى حديث «غديرخُم» وأعلن أن منزلة علي منه كمنزلة هارون من موسى .(١)

● نفي الوصية

وينفى ابن حزم أن يكون النبي قد وَصَّى لعلي :« ولا ادَّعى ذلك عليٌّ قط ، لا فى ذلك الوقت (وقت وفاة النبي) ولا بعده ، ولا ادَّعاه له أحد فى ذلك الوقت . ومن المحال الممتنع الذى لا يمكن ألبتة ، ولا يجوز ، اتفاق أكثر من عشرين ألف إنسان - مُتَنَابِذِى الهمم والنيات والأنساب - وأكثرهم موتور من صاحبه فى الدماء من الجاهلية ، على طيِّ عهد عَهِدَهُ رسول الله ﷺ إليهم . **وما وجدنا قط رواية عن أحد فى النص المدَّعَى إلاَّ رواية واهية عن مجهولين إلى مجهول يُكَنَّى «أبا الحمراء» لا يُعرفَ مَنْ هو فى الخلق».**(٢)

ويضيف ابن حزم قائلاً : **إنه إذا كان هناك نص قد عَرَفه الصحابة وجحدوه، وعصوا الرسول فهم كفار فساق :«فكيف حلَّ لعلي رضي الله عنه عند هؤلاء النوكى (الحمقى) أن يبايع طائعًا رجلاً إما كافراً وإما فاسقًا جاحدًا لنص رسول الله ﷺ ، ويعينه على أمره ، ويجالسه فى مجالسه ، ويواليه إلى أن مات ؟ ثم يبايع بعده عمر بن الخطاب ؛ مبادراً غير متردد ساعة فما فوقها ، غير مكره ، بل طائعًا ، وصَحَبَهُ ، وأعانه على أمره ، وأنكحه من ابنته (أم كلثوم) ... ثم قَبِلَ إدخاله فى الشورى أحد ستة رجال ؟ فكيف حلَّ لعلي - عند هؤلاء الجهال - أن يشارك بنفسه فى شورى ضالة ، وكفر ، ويغر الأمة هذا الغرور ؟» وكيف جحد الصحابة حق علي فى الخلافة بعد النبي ثم بايعوه خليفة بعد عثمان ، وقاتلوا معه ، وقُتلوا بالمئات ؟ ثم وَلِىَ علي رضي الله عنه فما غَيَّر حكمًا من أحكام أبى بكر وعمر وعثمان ، ولا أبطل عهدًا من عهودهم ... وقد ارتفعت التقية عنه».**(٣)

---

(١) الميلانى (آية الله العظمى) ؛ قادتنا ؛ جـ١ ص ٢٣٧ - ٢٥٧

(٢) الفصل ؛ جـ٤ ص ١٦١ - ١٦٢

(٣) نفسه ؛ جـ٤ ص ١٦٤ -١٦٥

وإذا قيل إن المهاجرين كانوا يحقدون على عليٍّ لأنَّه قتل أقرباءهم فى الجاهلية، فلماذا لم يقف الأنصار معه ويعلنوا أنهم ملتزمون بالنص الذى أعلنه الرسول ؟ ولماذا لم يحقد المهاجرون على أبى بكر وعمر ويرفضون البيعة لهما وقد قتلا من المشركين ما قتلا وقادا الجيوش التى قتلت المئات من آبائهم ؟

وصفوة القول إذن إنه لو وُجد نص لما خالفه صحابى مهاجر أو أنصارى .

لكن الإمامية يؤكدون الوصية يوم «غديرخُم» بقدر ما ينفيها ابن حزم ! يقول الإمامية إن النبى -ﷺ- أوصى لعلي يوم الغدير ، وأن أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وغيرهم بايعوا عليًا وهَنَّأُوه ! ويحيلنا الشيرازى على «فتح القدير» للشوكانى ، وإلى تفسير الطبرى ، فلا نجد حرفًا واحدًا عن تلك القصة أيضاً ![1]

ولا مجال هنا للخطأ فى أرقام الصفحات بسبب اختلافهما فى الطبعات المختلفة لأننا رجعنا إلى تفسير الآية ٦٧ من سورة المائدة ، لا إلى صفحة بعينها . فماذا نقول فى مثل هذا الكاتب الذى يوصف بأنه «سلطان الواعظين» ؟ أهو مخطئ أم مخادع ومتعصب ؟

والشيعة يؤكدون أن النبى أوصى بالخلافة لعلي ، لكنهم يذرفون الدمع تهتاناً لأن عمر منع النبى وهو على فراش الموت من أن يكتب وصيته لعلي ! والأخبار تقول إن عليًا خاف أن يسأل النبى أن يوصى له فيرفض ، وتقول عائشة إن النبى كان يريد أن يكتب لأبيها بالخلافة .

وهم يقولون إن النبى ﷺ قال :« تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً : كتاب الله وعترتى »[2] ثم يتباكون على كتاب ثالث يزعمون أن النبى كان «ينوى» أن يوصى فيه لعلي ! وعند الحديث عن حديث الغدير يؤكدون أن النبى

---

(١) راجع كتاب «ليالى بيشاور» للشيرازى ؛ ص ٣٣٢ – ٣٣٣ – وراجع تفسير الطبرى للآية وتفسير الشوكانى لها .

(٢) صحيح مسلم ؛ جـ ١٥ ص ١٥٥

أوصى لعلي بالخلافة من بعده ، ولأبناء علي من بعده [1] **ويزعم الكليني أن جبريل نزل على النبى ﷺ بصحيفة فيها الوصية للاثنا عشر ، وأسر بها لعلي وفاطمة ! وهذا ما نفاه البرقعى نفياً قاطعاً !** [2] وأين هى تلك الصحيفة المزعومة ؟ ولماذا لم يحتج بها علي ولم يبرزها ليحسم الخلاف ؟!

● روايات الكليني ونقضها

وقد أورد الكليني خمس روايات فى باب «**أن الإمامة عهد من الله عز وجل معهود من واحد إلى واحد**» . وتنص الروايات على أن :« على كل إمام أن يوصى بأن الله عيَّن الإمام » ومعنى هذا أن الوحى لم ينقطع بوفاة النبى ـ ﷺ ـ وأنه استمر يتنزل على الأئمة لتعيين الإمام التالى للإمام السابق .

وهذا يناقض عقيدة ختم النبوة التى عبر عنها القرآن الكريم ، وعبر عنها علي ـ رضى الله عنه ـ حين خاطب النبى ﷺ بُعيد وفاته بقوله :«**بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد انقطع بموتك ما لم ينقطع بموت غيرك من النبوة والأنبياء وأخبار السماء**».

ـ ويذكر البرقعى أن العلامة المجلسى ضَعَّف روايات الكليني ، وحكم بأن رواتها مجهولون ومضطربون ومرتدون !

ويقول البرقعى إن الكليني صنع بأولئك الرواة مذهباً مخالفاً لكتاب الله . . فقد رووا أن الله تعالى **أنزل صحيفة مختومة مهورة من الله على رسوله عيَّن فيها ولاة الأمة وأوصياءها ، وكان ذلك وقت قبض روح النبى ﷺ حين أخْلَى الغرفة واختلى مع علي وفاطمة ، وقال لعلي : عليك أن تعمل بهذه الصحيفة وهذه الوصية ، وتوالى أولياء الله وتعادى أعداءه وتبرأ منهم . .**» فى خبر طويل من الافتراءات !

ـ ويعلق البرقعى على هذا الخبر فيقول إنه كان الأجدى أن يعلن النبى عن تلك الصحيفة ، لأن يسربها لعلي وفاطمة ! [3]

---

(١) راجع : مكارم الشيرازى ؛ آيات الولاية فى القرآن ؛ ص ٢٢ ، ص٣٦٣ ؛ والميلانى ؛ قادتنا : ٢ / ١١

(٢) كسر الصنم ؛ ص ٢١٥ (٣) كسر الصنم ؛ ٢١٤ ـ ٢٢١

ثم يؤكد عدالة الصحابة بأدلة قرآنية عديدة ويؤكد مشروعية إمامة الصديق رضى الله عنه .

● الإصلاحيون الشيعة وتصحيح الأخطاء

ـ وكما سبق أن ذكرت يؤمن الشيعة الإمامية بأن الله تعالى أمر النبى صلى الله عليه وسلم وآله بأن يعهد بالخلافة لعلي ، وأن النبى صدع بالأمر وأعلن ذلك فى «غديرخم» لكن أبا بكر وعمر تآمرا لاغتصاب الخلافة ، وعلى ذلك استباحوا سبَّهما وسبّ الصحابة الذين أيدوهما !

ـ والشيعة متمسكون بذلك وقد أشرت من قبل إلى الاستثنائين اللذين لقيتهما وهما الدكتور موسى الموسوى وآية الله العظمى البرقعى اللذان يطالبان بالتوقف عن الزعم بوجود وصية إلهية وعهد نبوى بالخلافة لعلي .

ـ يقول الدكتور الموسوى إن الآراء القائلة إن الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وآله كانت فى علي وبالنص الإلهى ، وأن الصحابة ـ ماعدا نفر قليل منهم ـ خالفوا النص الإلهى بانتخابهم أبا بكر ، هذه الآراء ظهرت بعد إعلان غيبة الإمام الثانى عشر سنة ٣٢٩هـ . وذلك عهد الانحرافات ! (١)

ـ ويقول د . الموسوى إن مواقف بعض علماء الشيعة تتناقض مع :«مواقف الإمام علي والأئمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح ، لكى يثبتوا آراءهم حسب أهوائهم» . (٢)

ـ فقد كان الإمام علي يقول إنه :«لا نص عليه من السماء . وصحابة علي والذين عاصروه كانوا يعتقدون بذلك أيضاً . وقد استمر هذا الاعتقاد حتى عصر الغيبة الكبرى» . (٣)

ـ ويقرر د . الموسوى أن القول بوجود نص إلهى على خلافة علي يصطدم بخمس عقبات أساسية : كل واحدة منها تكفى لهدم الفكرة من أساسها ، وهذه العقبات هى :

---

(١) الشيعة والتصحيح ، ص١٤ (٢) نفسه ، ص١٦ (٣) نفسه ، ص١٩

١- موقف صحابة الرسول من الخلافة .

٢- أقوال الإمام نفسه فى الخلافة .

٣- بيعة الإمام علي للخلفاء الثلاثة .

٤- أقوال الإمام علي فى الخلفاء الثلاثة .

٥- أقوال أئمة الشيعة فى الخلفاء الثلاثة . (١)

● وصية علي لولده الحسن

ومما يؤكد أن الإمام علي بن أبى طالب رضى الله عنه لم يكن يؤمن بأن الخلافة وراثة ووصية وعهد من كل خليفة إلى ولده ، أنه لم يوص بالخلافة لولده الحسن.فبعد أن طُعن وحضره الموت، طلب دواة وصحيفة، وأمر الكاتب أن يكتب وصيته ، فقال :« أوصيك ياحسن ، وولدى ، وجميع أهل بيتى ، ومن بلغه كتابى هذا من المؤمنين بتقوى الله ﴿ **وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران:١٠٢] ولم يوص بالخلافة للحسن ولا للحسين ، ولم ينصح أتباعه بالبيعة لأحد بعينه ، وتركهم ليتشاوروا ثم يختاروا .

● الشورى مطلب أمتنا اليوم

ومن المؤكد أن ترك الأمور شورى للأمة تكريم لها :« ولم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وآله أن يقيد الأمة بقيد يعتبره الناس حكماً دينياً . فلو نص على شخص لصار الحكم فيه وفى أسرته وراثياً ، **ولكن الرسول أراد أن يترك الأمة حرة فى اختيارها . وكان هذا اعترافاً بحق الأمة وإرداتها . فيكون الإسلام ـ إذن ـ قد قرر الأصل الأول للديموقراطية** ، وجعل هذا الأساس الذى تقوم عليه دولة الإسلام »(٢) ويدل اختيارأبى بكر يوم السقيفة :« على أن طريق الحكم والسلطة فى الإسلام هواختيار الأمة . وهذا من أكبر مبادئ الديموقراطية »(٣)

---

(١) نفسه ؛ ص٣٠ (٢) د . محمد ضياء الدين الريس ؛ الإسلام والخلافة ؛ ص٢٦١

(٣) نفسه ؛ ص ٢٦٥

ـ واليوم يعتمد السُّنة والشيعة مبدأ أن الأمة هى مصدر كل سلطة . ويحاولون تطبيق المبادئ الديموقراطية ، بصرف النظر عن ذلك الخلاف التاريخى حول الإمامة . وتنجح بعض الشعوب المسلمة فى تطبيق الديموقراطية بدرجة أو بأخرى ، وتفشل معظم الشعوب المسلمة فى التخلص من النظم الاستبدادية والانقلابية و العسكرية ، ولكنها لا تكف عن النضال من أجل استعادة حقها فى حكم نفسها بنفسها ، واختيار النظام الذى تؤمن به ، والرئيس الذى تثق به ، والنواب الذين يعبرون عنها بنزاهة . والعالم من حولنا يعتمد النظم الديموقراطية ، مما يبشر بنجاحنا فى مسعانا .لكن الدولة الكبرى المتحكمة فى العالم الآن وهى أمريكا تعين الطغاة والمستبدين عسكرياً وإعلامياً ودبلوماسياً ومخابراتيًا ، لإحكام قبضتهم على مقدرات بلادنا لأن ذلك أضمن لمصالحها . وقد أفلح إخواننا الشيعة فى إيران فى التحرر من تحكم أمريكا ، وأقاموا دولتهم على أسس ديموقراطية . ونحن أهل السُّنة نجحنا أحياناً وأخفقنا كثيراً فى التحرر من هذا الطاغوت الأمريكى .

obeikandl.com